دور الرواية الشفوية في التوثيق التاريخي(*)

د. بصيرة بنت إبراهيم الداود
قسم التاريخ - كليات البنات بالرياض

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين وبعد.

تُعدُّ الدراسات التاريخية السياسية والحضارية الحديثة من أهم المجالات التي تستقطب الباحثين للتخصص في دراساتها. ويعود السبب في ذلك إلى وفرة الوسائل اللازمة التي تمكن الباحث من الاتجاه إلى تلك الدراسات مثل: المصادر والمراجع، والوثائق، ووسائل أخرى مثل: الاستبانات، أو الملاحظة، أو المشافهة العلمية التي يستعاض عنها في حالة ندرة المصادر والمراجع والوثائق اللازمة في بحث موضوع ما.

وتُعدُّ المشافهة العلمية أو " المقابلة الشخصية " وسيلة مهمة من وسائل جمع البيانات والمعلومات في مجال البحث العلمي التاريخي الحديث. فهي تفيد الباحث في الحصول على معلومات شاملة عن مختلف جوانب الدراسة مقارنة بالأساليب الأخرى كالوثائق والاستبانات. هذا إضافة إلى دقتها في متابعة المعلومات كونها توضح

(*) أصل هذا البحث محاضرة ألقيت يوم الثلاثاء ١٥/١/١٤٢٠هـ بقاعة المحاضرات في مركز الملك عبدالعزيز التاريخي ضمن الموسم الثقافي لدارة الملك عبدالعزيز.

مختلف ردود الأفعال من جانب الأشخاص الذين يراد مقابلتهم، مما يفيد الباحث في التعرف على صفاتهم الشخصية، ومن ثم تقويمها، والحكم على أقوالهم بعد ذلك، وهذا يعتمد على مدى ما يستطيع الباحث إحرازه من ثقة بينه وبين المجيب، وطمأنته بالنسبة للمعلومات الشخصية، أو السرية التي سيفضي بها إليه.

وبناء على ذلك فإن مهمة الباحث هنا مهمة صعبة للغاية إذا ما فضَّل إكمال دراساته العليا في مجال التاريخ السياسي الحضاري الحديث.

وإذا ما أضفنا عامل تدوين المعلومات التي يحصل عليها الباحث من خلال الرواية الشفهية بوصفها مصدرًا عامًا من مصادر التاريخ السياسي والحضاري الحديث، خاصة إذا كانت المعلومات التي حصل عليها ذات طابع معين من السرية والحساسية كالمواضيع السياسية أو العسكرية الحديثة والمعاصرة، أو المواضيع الاجتماعية التي تمس جانبًا مهمًا من جوانب القيم والمفاهيم لمجتمع بعينه، وكذلك الجوانب الاقتصادية ذات الصلة بموضوعات السياسة الاقتصادية المحلية أو الدولية.

ونظرًا لاهتمامي بالدراسات التاريخية الحديثة الحضارية منذ مرحلة تخصصي في مجال الدراسات العليا؛ إذ كانت هناك بعض الأمور التي تعيقني بصفتي باحثة في هذا المجال من تغطية جوانب أطروحتي الماجستير بعنوان "تاريخ التعليم على عهد الملك فيصل آل سعود"، وأطروحة الدكتوراه بعنوان "الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير" التي اضطرتني إلى استخدام وسيلة المشافهة العلمية بشكل مكثف، ولا سيما خلال قيامي بدراسة أطروحة الدكتوراه التي اعتمدت فيها على الرواية الشفهية اعتمادًا كبيرًا نظرًا لندرة المصادر والمراجع والوثائق التي كانت قد كتبت في موضوع "الحياة الاجتماعية

في متصرفية عسير ١٢٨٩ - ١٣٣٧هـ / ١٨٧١ - ١٩١٨م "، وهذا ما أضاف إليها معلومات شاملة ودقيقة عند القيام بدراسة مختلف محاور البحث وقضاياه.

وقد لحظت بصفتي باحثة أن وسيلة المشافهة العلمية تؤدي دورًا كبيرًا ومهمًا للغاية في مجال الدراسات التاريخية السياسية والحضارية الحديثة.

وبناءً على ذلك سأتناول هنا دور الرواية الشفوية في التوثيق التاريخي؛ نظرًا لما لهذه الوسيلة من أهمية بالغة يستطيع الباحث الاعتماد عليها فور إدراكه ندرة المصادر والمراجع والوثائق اللازمة لموضوع البحث.

وحقًا إنها تعين الباحثين بشكل كبير إذا ما أُحسن استخدامها على تغطية جوانب البحث العلمي، والخروج أحيانًا بمعلومات جديدة لم يسبق لأحد قبلهم أن توصل إليها، أو دوّنها في كتبه.

وقد أبرزت من خلال هذا البحث بعض الجوانب المهمة والقواعد الأساسية التي يجب على الباحثين دراستها قبل القيام باستخدام وسيلة المشافهة العلمية على النحو الآتي:

١- تعريف أسلوب البحث العلمي التاريخي.

٢- التعرف على مختلف وسائل البحث العلمي التاريخي، ومن بينها وأهمها المشافهة العلمية التي تعتمد على الرواية الشفوية بوصفها مصدرًا موثوقًا ينقل من صاحبه شاهد العيان بصدق وأمانة وموضوعية تامة لتغطية مختلف جوانب الموضوع المراد بحثه.

٣- دور المشافهة العلمية في أهمية التوثيق التاريخي، وقد صنفت خلالها أنواع المشافهات العلمية، وفق اعتبارات البحث العلمي،

ومن ثم أوضحت بعض الخطوات المهمة لإجراء المقابلة الشخصية بما تحويه من مزايا وسلبيات، وهذا تم من خلال تطبيقه على ما واجهته بصفتي باحثة اعتمدت على وسيلة المشافهة العلمية؛ لكونها وثيقة ومصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ الحديث. ثم خرجت بتوصيات، وبعض النتائج المهمة عند دراسة مختلف محاور البحث.

ونظرًا لما يعانيه الباحث في مجال الدراسات التاريخية الحديثة السياسية والحضارية من نقص في بعض المصادر والمراجع والوثائق المتعلقة ببعض المواضيع المراد بحثها ودراستها لإكمال بعض أوجه النقص في مجال هذه الدراسات فإنه يقترح على المتخصصين في حقل الدراسات التاريخية الحديثة توجيه طلابهم وطالباتهم في مرحلة الدراسات العليا وبخاصة في السنة التمهيدية للماجستير إجراء بحوث أكاديمية صغيرة ومركزة على موضوع دقيق جدًا، بحيث يعتمد فيه على استخدام مختلف وسائل البحث العلمي، ومن بينها وسيلة المشافهة العلمية، وهذا يكون وفقًا لما يلي:

١- تدريب الطلبة الباحثين على القواعد والأسس السليمة لاستخدام وسيلة المشافهة العلمية، من خلال إعطائهم دروسًا علمية في هذا المجال.

٢- توجيه الطلبة الباحثين في مرحلة التمهيدي والماجستير بعد اختيارهم لموضوع بحث - تقدر له درجات علمية تحسب للطالب الباحث عند الانتهاء من إكمال متطلبات هذه المرحلة - بالنزول إلى الحقل الميداني؛ ليقوم باستخدام وسائل البحث العلمي بشكل عملي، ومن أهمها وسيلة المقابلة الشخصية بشكل علمي يتيح له فيما بعد الوقوف على جميع أخطائه وعيوبه والمشاكل التي واجهها خلال استخدامه لهذه الوسيلة، وهذا يتيح له مستقبلا

الإفادة من كل ذلك عند إكمال دراسته الأكاديمية التخصصية في مجال الدراسات التاريخية الحديثة.

٣- عند توجيه الطلبة الباحثين في مرحلة "التمهيدي ماجستير" استخدام وسيلة المشافهة العلمية في مجال الدراسات التاريخية الحديثة بشكل علمي وعملي، يكسب ذلك الطلاب ثقة كبيرة بأنفسهم، وهذا يعزز لديهم الجرأة التامة لخوض هذا المجال، والاعتماد على هذه الوسيلة المهمة بوصفها مصدرًا من مصادر البحث العلمي التاريخي خلال تخصصهم الدقيق مستقبلاً، ولا سيما عند تقديمهم لمواضيع بحث أطروحتي "الماجستير" و"الدكتوراه" والأبحاث الأخرى.

أسلوب البحث التاريخي:

تعريفه:

هو أسلوب علمي ينبع من ملحوظات الباحث القائمة على المشاهدات للتجارب والظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي خلفها الأقدمون، ودراسته ووقوفه على جميع ما دُوِّن وكتب عنهم، مما يساعده على تخيل مجريات الأحداث الماضية بكل المبادئ التي قد تكون حكمتها، وبهذا يكون قد توصل إلى فروض معينة يستطيع نفيها أو تأكيدها من خلال إخضاعها للاختبار والتحقيق والتدقيق عن طريق التعمق في دراسة الوثائق والمصادر والمراجع ونقدها، وجمع الشواهد الخاصة بها، وهذا يمكن الباحث من الوصول إلى استنتاجات وفرضيات ملائمة، إن لم تكن صحيحة فهي الأقرب إلى التصور الصحيح(١).

---

(١) سامي عيريفيج، خالد حسين مصيلح، مفيد نجيب حواشي: في مناهج البحث العلمي، الطبعة الثانية، عمان - ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص١٢١.

وسائل البحث العلمي التاريخي:

تُعدُّ الوسائل المستخدمة في جمع المعلومات التاريخية مثل المصادر والوثائق، والاستبانات، " والمراسلات "، والملاحظة، والمشافهة العلمية "المقابلة الشخصية، أو الرواية الشفوية " هي التي تحدد طبيعة المنهج المتبع في البحث العلمي(٢).

والبحث التاريخي الوثائقي يحتاج إلى المصادر والوثائق المكتوبة والمطبوعة التي تنظم، ثم يستنبط بعد تحليلها النتائج المطلوبة منها.

أما المنهج المسحي(٣) فيحتاج الباحث بالدرجة الأولى إلى ما يعرف بالاستبانة في جمع المعلومات(٤)، وكذلك المقابلة الشخصية

---

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن الكندري، محمد أحمد عبد الدايم: المنهجية العلمية في البحوث التربوية والاجتماعية، الطبعة الثانية، الكويت - ١٩٩٨م، ص٤١١.

(٣) المنهج المسحي : هو دراسة يقصد منها تناول عدد من الظواهر الاجتماعية المختلفة بقصد تشخيص أوضاعها، أو جوانب معيَّنة منها. وهي عادة تتجاوز تصوير الواقع فتحكم على مدى كفايته بعد إخضاعه للمقارنة بين تجارب أو ظواهر اجتماعية في بلد آخر. وذلك يتم على ضوء عدد من المقاييس أو المعايير المتفق عليها.

انظر: الكندري، عبدالدايم، مرجع سبق ذكره.

(٤) الاستبانة: هي أداة للحصول على الحقائق، وتجميع البيانات من خلال إعداد مجموعة من الأسئلة ترسل إلى عدد من أفراد المجتمع، وأحيانًا تكون بمثابة " مكاتبة بريدية " ترسل لشخص معين للرد عليها، وهذا غالبًا ما يحدث في مجال الدراسات التاريخية الحديثة، خاصة إذا كان هذا الشخص شاهد عيان عاصر فترة الحدث التاريخي، أو أسهم فيه بأي دور من قريب أو بعيد.

وهذا ما يميز " المكاتبة البريدية " مجال الدراسات التاريخية، أو الاستبانة في مجال الأبحاث العلمية الأخرى عن المشافهة العلمية التي غالبًا ما تكون مشافهة شخصية كالاستبانة الشفوية.

انظر:

- أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، الطبعة الثامنة، القاهرة - ١٩٨٦م، ص٣٣٤-٣٣٨.
- بصيرة بنت إبراهيم الداود: تاريخ التعليم على عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود في الفترة من " ١٣٨٤-١٣٩٥هـ/١٩٦٥-١٩٧٥م"، أطروحة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ بكلية الآداب للبنات بالرياض، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص١٩٢-٢٨٨ .

تلك التي تُجرى للتعرف على اتجاهات الرأي العام نحو قضية سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. وقد يستعان بالمشافهة العلمية "المقابلة الشخصية" التي تعتمد على الرواية الشفوية أيضًا أداةً لجمع المعلومات منفردة، أو مكملة لوسيلة الاستبانة.

وفي دراسة حالة أو ظاهرة من الظواهر فإن الباحث يكون بحاجة إلى وسيلة الملاحظة لجمع المعلومات حتى تتحقق الشمولية لدراسة مختلف جوانب البحث. وكذلك يعتمد الباحث إذا تطلب الأمر على وسيلة المشافهة العلمية في حالة عدم إمكانه تهيئة الوقت والوسائل المناسبة للملاحظة(٥).

أما المنهج التجريبي في دراسة البحث العلمي التاريخي فهو إلى جانب اعتماده على وسيلة الملاحظة في جمع البيانات المطلوبة، بحاجة كذلك إلى الوثائق المطبوعة مثل " الصحف والمجلات " أو غير المطبوعة مثل " الأفلام الوثائقية، والتسجيلات الصوتية "(٦).

وخلاصة القول: إن أهم وسيلة من وسائل البحث العلمي التاريخي هي وسيلة المشافهة العلمية "المقابلة الشخصية" التي تدخل عاملاً مشتركًا ومكملاً لوسائل جمع المعلومات المطلوبة خلال البحث.

والمشافهة العلمية تعد بالنسبة للباحثين في مجال دراسات

---

(٥) الملاحظة: هي المشاهدة والمراقبة الدقيقة لسلوك أو ظاهرة معينة، وتسجيل المعلومات عنها بطريقة متواليه، ويستعان بمختلف أساليب الدراسة، التي تناسب طبيعة السلوك أو الظاهرة بغية تحقيق أفضل النتائج، والحصول من خلالها على أدق المعلومات. وعادة ما يستفاد من الملاحظة في دراسة التفاعل الاجتماعي بين المجموعات البشرية في مواقفها الطبيعية. انظر: عامر إبراهيم قنديلجي : البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، بغداد ، ١٩٩٣م، ص ١٢٢، ١٤٤-١٤٥.

(٦) المرجع نفسه، ص١٢٢ .

التاريخ الحديث والمعاصر السياسي والحضاري وثيقة مهمة، أو مصدرًا من مصادر البحث العلمي في هذا المجال؛ إذ تؤدي الرواية الشفوية دورًا كبيرًا في كشف بعض الحقائق والملابسات لأحداث تاريخية وقعت في فترة ما مع مطلع العصور الحديثة، قام خلالها شاهدو العيان بأداء أدوار مهمة في هذه الأحداث؛ إذ يستطيع الباحث من خلالها أن يتتبع الأحداث، ويتأكد من صحتها بعد إجراء المشافهة العلمية "المقابلة الشخصية"، ومن ثم يقوم بمقارنتها بالأحداث والوقائع التاريخية التي حصل عليها من مختلف الوثائق والمصادر والمراجع الأخرى. وبعد تحقيقها جميعًا يتأكد له إقرارها أو نفيها حسب معطيات الأحداث التاريخية(٧).

تؤدي الرواية الشفوية دورًا كبيرًا في كشف بعض الحقائق والملابسات لأحداث تاريخية وقعت في فترة ما

ويلجأ الباحث إلى الرواية الشفوية " المشافهة العلمية " في حالات عدة، أبرزها:

١- إذا كانت المصادر والمراجع والوثائق اللازمة لبحثه نادرة أو قليلة، وهنا يستعين الباحث بشاهد عيان أو أكثر، أو من بعض المقربين منهم ممن عاصروا فترة الحدث التاريخي المراد بحثه، وهنا يستفيد الباحث منهم في جمع بعض المعلومات والحقائق التاريخية؛ لكشف الغموض في جانب من جوانب الدراسة التي يعدها.

٢- التأكد من صحة بعض المعلومات التي قد ترد في المصادر والمراجع التاريخية وذلك للرد مثلاً على دعاوى سياسية أو عسكرية وغيرها. وهذا يُمكّن الباحث بعد إجراء المشافهة العلمية من الخروج ببعض الفرضيات التي تساعده فيما بعد

---

(٧) بعض الحقائق المهمة التي تتعلق بأهمية الرواية الشفوية استخلصتها الباحثة خلال إعدادها لأطروحتي الماجستير والدكتوراه. انظر:

- بصيرة الداود: تاريخ التعليم على عهد الملك فيصل آل سعود، ص٢٥٦-٢٨٦ .

على الوصول إلى ما يقارب من الحقيقة التاريخية بعد إخضاع الرواية الشفوية التي حصل عليها للنقد والتحقيق والتدقيق(٨).

دور المشافهة العلمية في التوثيق التاريخي:

يعتمد الباحثون في مجال الدراسات التاريخية الحديثة السياسية منها والحضارية على الرواية الشفوية بوصفها مصدرًا مهمًا من مصادر التاريخ الحديث، فهي تُعد وثيقة مهمة يوثق بها الباحث بعض الأسئلة والاستفسارات التي يطلب الإجابة عنها من شاهد عيان معين، وذلك بعد أن يوضح لهذا الشاهد الذي يجري معه المشافهة العلمية بأنه سوف يكون مسؤولاً عما يقوله، وبأن حديثه وإجاباته المهمة ستكون وثيقة للأجيال القادمة. لهذا تتطلب المشافهة العلمية الصراحة والوضوح التامين مع تبادل الثقة بين الباحث ومَنْ يقابله(٩).

ويمكن تصنيف المشافهة العلمية في مجال البحث التاريخي وفق الاعتبارات الآتية:

١- مشافهة تشخيصية: ويكون الغرض منها جمع بيانات معينة؛ لتشخيص ظاهرة ما، أو مشكلة محددة، وتحديد أبعادها.

٢- مشافهة فردية: وهي التي يقوم بها الباحث بمقابلة شهود عيان ومشافهتهم بشكل فردي كل على حدة.

---

(٨) بصيرة الداود: الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير " ١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م"، أطروحة دكتوراه الفلسفة في الآداب، غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ في كلية الآداب للبنات بالرياض، الرياض ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١-٣٧، ١٩٦، ٢١٨.

(٩) انظر بعض الأمثلة على أهمية المشافهة ودورها في مجال البحث التاريخي في أطروحة الماجستير:

- بصيرة الداود: تاريخ التعليم على عهد الملك فيصل آل سعود، مرجع سبق ذكره، ص٢٥٦-٢٨٦.

٣- مشافهة جماعية: وهنا يجري الباحث المشافهة بشكل جماعي، ويتلقى إجابات جماعية في الوقت نفسه(١٠).

قد يتطلب البحث في بعض الحالات أن يقوم الباحث بمعالجة إحدى قضاياه عن طريق المشافهة الجماعية

وقد يتطلب البحث في بعض الحالات أن يقوم الباحث بمعالجة إحدى قضاياه عن طريق المشافهة الجماعية، وبعد تحليل إجابات المبحوثين وإخضاعها للتحقيق والنقد يكتشف الباحث أنه في حاجة ماسة لتغطية نقطة معينة لم يجب شهود العيان عن أسئلتها واستفساراتها بشكل وافٍ لأسباب عدة، أبرزها:

السبب الأول: أنه خلال القيام بالمشافهة الجماعية تحدث شهود العيان بحرية تامة عن نقاط مهمة في موضوع البحث، وأغفلوا عن قصد بعض جوانبه الأخرى.

السبب الثاني: تكون بعض الأسئلة والاستفسارات الموجهة إلى شهود العيان تتعلق بموضوع ذي حساسية خاصة جدًا، مثل التعليق على بعض الظواهر الاجتماعية الخاصة المتعلقة ببعض القيم والمفاهيم لمجتمع ما، أو أن ارتباط الموضوع ببعض القضايا السياسية أو العسكرية ذات الصلة بمواضيع مهمة وبالغة الخطورة، وذلك بأن يكون لها جذور متصلة بإحدى قضايا الساعة مثلاً. وهنا لا يستطيع أي من شهود العيان الحديث بحرية تامة أمام الآخرين، وذلك يتطلب من الباحث العودة مرة أخرى للمشافهة العلمية الفردية، بحيث يقابل كل فرد على حدة لكي يتمكن من استخلاص بعض الحقائق التي تفيد في معالجة مختلف قضايا بحثه(١١).

---

(١٠) عبد الله الكندري؛ محمد عبد الدايم: مرجع سبق ذكره، ص١٤٩.

(١١) انظر أمثلة لبعض المشافهات العلمية الفردية والجماعية في أطروحة الدكتوراه:

- بصيرة الداود: الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، مرجع سبق ذكره، ص٣٧، ١٠٢-١١٩، ١٤٩، ١٩٦، ٢١٨.

لهذا يستطيع الباحث أن يسلك بعض درجات المرونة التي تعطى المجيب عند إجابته نوعًا من الحرية من خلال قيامه بإجراء مشافهة علمية مفتوحة لا ترتبط بالزمن أو الأسلوب، بل يجيب شاهد العيان عن التساؤلات بكل حرية ووضوح، وأحيانًا يفسح المجال للإدلاء ببعض المعلومات التي لا صلة لها بموضوع البحث.

كما يجد الباحث نفسه أحيانًا مضطرًا إلى وضع الأسئلة والاستفسارات التي يقوم بطرحها بصيغ مختلفة، ويطلب من المبحوث مزيدًا من التوضيح.

وفي حالة إجراء المشافهة العلمية المغلقة التي لا تتطلب الإسهاب في الإجابة عنها، تكون الأسئلة والإجابات محددة ومرتبطة بالزمن الذي عادة ما يحدده المبحوث للباحث(١٢).

وهناك بعض الخطوات المهمة لإجراء المشافهة العلمية على أسس علمية صحيحة، من أهمها:

١ - تحديد الهدف من القيام بالمشافهة، بحيث يُعرِّف الباحث هذه الأهداف للأشخاص أو الجهات التي سيجري المشافهة العلمية معها، وعليه ألاّ يجعل من أهدافه شيئًا غامضًا، أو يتركه إلى صدف المشافهة. وإن كان الباحث في مجال الدراسات التاريخية السياسية أو الحضارية الحديثة يشذ أحيانًا عن هذه القاعدة؛ إذ إنه يجعل بعض أهدافه غامضة، بل ويتعمد تركها إلى صدف اللقاء ومستجداته خلال طرح الأسئلة والاستفسارات، وتلقي الإجابات الشفوية عنها(١٣).

---

(١٢) الكندري، عبد الدايم: مرجع سبق ذكره، ص١٥٠.

(١٣) انظر أمثلة لبعض المشافهة العلمية الفردية والجماعية في أطروحة الدكتوراه:

- بصيرة الداود: الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، مرجع سبق ذكره، ص٣٧، ١٠٢-١١٩، ٢٢٧-٢٢٨.

٢ - ضرورة الإعداد المسبق للمشافهة العلمية، وذلك بأن يقوم بتحديد الأفراد أو الجهات المشمولين بالمشافهة العلمية، وإعداد الأسئلة والاستفسارات المطلوب طرحها عليهم. وأحيانًا يتم تسليمها أو إرسالها إلى الجهات المعنية بالمشافهة العلمية لإعطائهم فكرة واضحة عن موضوع البحث، والبنود الخاصة بهم التي يراد منهم الإجابة عنها.

٣ - يجب على الباحث أن يتحلّى ببعض الصفات الأخلاقية الطيبة التي تميزه وتعكس شخصيته بصفته باحثًا علميًا يؤهله مركزه ومكانته العلمية أن يقابل من يشاء من أفراد لهم مكانتهم ومنزلتهم في المجتمع. لهذا يجب على الباحث عند القيام بإجراء المشافهة العلمية مع المبحوثين تجنب تكذيبهم، أو إعطاء الانطباع لهم بأن الإجابة غير صحيحة، كما يجب عليه تجنب معرفة الجواب، أو حتى معرفة بقية الجواب، بل يترك الشخص المعني بالأمر يأخذ حريته في الإجابة أو إكمالها، ويطلب منه بعد ذلك توضيح ما ذكره، أو إعطاء أمثلة أو ما شابه ذلك. كما يجب عليه إيجاد الجو المناسب للحوار من حيث الظهور بالمظهر اللائق، واختيار العبارات المناسبة واللائقة أثناء الحوار(١٤).

٤ - تحديد الموعد المناسب مع الأفراد والجهات المعنية بالبحث، والالتزام به من قبل الباحث.

٥ - يجب على الباحث أن يتحدث بشكل مسموع، وبعبارات واضحة، وأسلوب علمي لائق(١٥).

٦ - يجب على الباحث القيام بتسجيل الإجابات والملحوظات التي يبديها الشخص المعني بالمقابلة العلمية ساعة إجرائها على

---

(١٤) عامر قنديلجي: مرجع سبق ذكره، ص١٤١-١٤٢.

(١٥) قنديلجي: مرجع سبق ذكره، ص١٤١-١٤٢.

مجموعة أوراق معدة مسبقًا، حيث تقسم الأسئلة إلى مجاميع، على أن توضع الإجابة أمام كل منها. كما يستحسن تسجيل الحوار عن طريق جهاز التسجيل الصوتي إذا أمكن ذلك، خاصة للباحثين في مجال الدراسات التاريخية السياسية أو الحضارية، وهذا الأسلوب يُمكّن الباحث من نقل الحديث الذي دار بينه وبين المبحوث بصدق وأمانة وموضوعية أكثر(١٦).

مميزات الرواية الشفوية في مجال البحث العلمي:

١ - تكون المعلومات التي تم الحصول عليها عن طريق المشافهة العلمية "الرواية الشفوية" وفيرة جدًا وشاملة لكل جوانب الموضوع المراد بحثه، فضلاً عن كونها تزود الباحث أحيانًا بمعلومات إضافية لم تكن في حسبانه، ولكنها ذات أهمية وصلة وثيقة بمواضيع البحث.

٢ - تفيد الباحث في التعرف عن قرب على الصفات الشخصية والخلقية للأفراد المطلوب مقابلتهم، وتقويم شخصياتهم، ومن ثم الحكم على إجابتهم.

٣ - تُعدُّ الرواية الشفوية وسيلة مهمة جدًا عند دراسة الظواهر الاجتماعية للمجتمعات التي لا تعرف القراءة والكتابة، أو مقابلة الأشخاص كبار السن، أو المعوقين الذين عاصروا فترة البحث.

٤ - شعور المقابلين بأهميتهم وبأهمية الدور الذي أدوه فترة الحدث المراد بحثه(١٧).

---

(١٦) المرجع السابق: ص١٤٢.

(١٧) بصيرة الداود: الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير، مرجع سبق ذكره، ص٣٧-٢٣٦.

- قنديلجي: مرجع سبق ذكره، ص١٤٣

وكما أن للرواية الشفوية مزايا وإيجابيات فإن لها بعض السلبيات نلخصها فيما يأتي:

١ - الرواية الشفوية مكلفة جدًا من ناحية الوقت والجهد؛ إذ تحتاج إلى وقت طويل للإعداد، وللمقابلات وتوجيه الأسئلة، بالإضافة إلى أنها تحتاج كذلك إلى جهد أكبر في عملية التنقل والحركة، وتهيئة المستلزمات المادية والنفسية لكل المقابلات المطلوبة، في محاولة للخروج منها بحصيلة مهمة من المعلومات الوافية لموضوع البحث.

٢ - ربما لا يجد الباحث أحيانًا الوقت الكافي للحصول على كل المعلومات المطلوبة من الأشخاص أو الجهات المعنية بالبحث.

٣ - هناك بعض الباحثين لا يتمتعون بإمكانات اللباقة والجرأة والمهارة الكافية لإجراء المشافهة العلمية مع الأشخاص، أو الجهات المعنية مما يعيقهم عن الحصول على جميع المعلومات اللازمة لبحثهم(١٨).

وخلاصة القول:

إن المشافهة العلمية الشخصية هي إحدى الوسائل المؤثرة لجمع البيانات والمعلومات الضرورية للبحث، وهي قد تبدو شيئًا سهلاً للغاية للشخص الذي لا خبرة علمية مسبقة له في هذا المجال، إلا أنها في الواقع عملية لها أسسها العلمية وقواعدها التي تقوم عليها، وإن لم تكن كذلك فلن تؤدي الغرض المطلوب منها.

وهي أسلوب متميز جدًا وناجح في بعض الدراسات والأبحاث المتعلقة بمختلف المجالات، ولا سيما في مجال الدراسات الاجتماعية والسياسية الحديثة؛ إذ إن أهميتها تكمن في كونها وثيقة شفوية مهمة تبرز بعض الجوانب الغامضة بأمور الأبحاث المتعلقة بدراسة

---

(١٨) قنديلجي: مرجع سبق ذكره، ص ١٤٤.

الظواهر الاجتماعية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو العسكرية في تاريخنا الحديث والمعاصر.

بعض النتائج المهمة:

١ - إن أهمية المشافهة العلمية في مجال دراسة البحث التاريخي العلمي الحديث كبيرةٌ جدًا، خاصة إذا قام بإجرائها باحث ماهر له خبرة ودراسة علمية مسبقة بقواعد إجراء المشافهة وأسسها تضفي على بحثه أهمية بالغة، وتكشف جوانب الغموض فيه.

٢ - يجب على الباحث أن يتحلى ببعض الصفات الخلقية الطيبة التي تؤهله، وتساعده على إجراء حوار شفهي مع الأشخاص، أو الجهات المعنية ببحثه بكل يسر وسهولة، مما يعكس تقبل هؤلاء الأشخاص ورضاهم لشخص الباحث وارتياحهم له، ومن ثم ينعكس ذلك على مدى تقبلهم لاستفساراته بشأن الموضوع المراد بحثه، وهذا قد يتيح له الحصول منهم على أكبر قدر من المعلومات المهمة المتعلقة ببعض محاور البحث وقضاياه.

٣ - تحتاج المشافهة العلمية إلى وقت وجهد وإمكانات مادية أكبر وأكثر من وسائل البحث العلمي الأخرى كالاستبانات، أو الملاحظة، أو الحصول على المصادر والمراجع والوثائق المختلفة. إلا أن توفير ذلك يُمكّن الباحث في نهاية المطاف من الخروج بمعلومات شاملة وعميقة نوعًا ما، خاصة إذا ما أحسن استخدام هذه الوسيلة بأسلوب علمي لائق.

٤ - ليست المشافهة العلمية مجرد لقاء مع بعض الناس وسؤالهم بعض الأسئلة الفرضية " التخمينية "، فهي ليست كالمشافهات، أو المقابلات الإعلامية التي تتم عادةً عبر وسائل الإعلام المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، إنما هي إعداد مسبق لخطوات

عديدة تساعد على كشف حقيقة بعض الأحداث المراد بحثها، وهي لا تتم للباحث بشكل دقيق وموضوعي إلا إذا سعى أولاً للحصول على ثقة الأشخاص وتعاونهم، أو الجهات المعنية ببحثه، ثم يقوم بعد ذلك بإجراء المشافهة العلمية، إذا ما توفر له الجو المناسب والوقت الكافي للمشافهة فضلاً عن مهارة الباحث في الحصول على معلومات دقيقة ووافية.

ليست المشافهة العلمية مجرد لقاء مع بعض الناس وسؤالهم بعض الأسئلة الفرضية " التخمينية "

٥ - يجب على الباحث خاصة في مجال الدراسات الاجتماعية والسياسية والعسكرية استخدام جهاز التسجيل الصوتي عند قيامه بإجراء المشافهة العلمية حرصًا على تدوين المعلومات بدقة وصدق وموضوعية، ومن ثم الأمانة في نقلها.

٦ - إذا ما وجد قضية تاريخية تدرس من قبل أحد الباحثين، وتتعلق بالنواحي السياسية ، أو العسكرية الحديثة، بحيث تكون ذات صلة بأحد موضوعات الساعة، فيجب على الباحث الناجح - من وجهة نظر شخصية، إذا اضطر إلى استخدام وسيلة الرواية الشفهية - أن يتحلى بشيء من المرونة تمكنه من الاستماع إلى وجهات نظر جميع الأطراف المعنيين بتلك القضية، ومتابعتهم أينما وجدوا، سواء أكانوا يمثلون وجهة نظر الصديق أم الضد، وبعد إخضاع أقوالهم للتحليل والنقد والتحقيق والتدقيق، يستطيع الباحث عندها الحكم، وربما الخروج بآراء تاريخية جديدة بخصوص الموضوع المراد بحثه.

أمثلة موثقة لبعض الروايات:

نتناول فيما يلي بعض الأمثلة للروايات الشفهية التي تم إجراؤها مع بعض الشخصيات التي عاصرت الحدث التاريخي، أو الشخصيات التي كانت تربطهم صلات معينة بمن عاصر الحدث

التاريخي خلال فترات مختلفة من تاريخنا الحديث.

أولاً: كتاب "نساء شهيرات من نجد"، للباحثة: "دلال بنت مخلد الحربي". وجهت الباحثة فيه اهتمامها إلى تتبع تاريخ المرأة ودورها في مجتمع نجد فقط في تاريخه الحديث في فترة تبدأ من القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وتنتهي بوفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م .

وقد اعتمدت الباحثة في هذا الكتاب على المنهج المسحي التحليلي للمصادر والمراجع، ومن بينها وأهمها الرواية الشفهية الموثقة بوصفها مصدرًا رئيسًا من مصادر هذا الكتاب الذي يتناول موضوعًا جديدًا وقيِّمًا لم يسبق أن تطرق له أحد من الباحثين في تاريخ الدولة السعودية الحديث والمعاصر.

ثانيًا: أطروحة الدكتوراه بعنوان " الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير ١٢٨٩-١٣٧٣هـ/١٨٧٢-١٩١٨م " للباحثة: "بصيرة بنت إبراهيم الداود". وقد تناولت الباحثة دراسة جانب مهم من الجوانب الحضارية في تاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث، وهو دراسة تاريخية حضارية للحياة الاجتماعية في منطقة عسير جنوب الجزيرة العربية في العهد العثماني الثاني. وكان من ضمن المصادر التي اعتُمد عليها في جمع المعلومات التاريخية هي الرواية الشفهية التي تمت من خلال لقاء الباحثة بعدد من شيوخ منطقة عسير وأعيانها؛ إذ أسهموا مشكورين بما لديهم من وثائق ومعلومات وثائقية مهمة كشفت بعض جوانب الغموض بالنسبة للحكم العثماني لمنطقة عسير الذي استمر سبعة وأربعين عامًا.

ثالثًا: أطروحة الدكتوراه منشورة بعنوان: "علاقة سلطنة لحج ببريطانيا ١٣٧١-١٣٧٨هـ/ ١٩١٨-١٩٥٩م" للباحثة: "دلال بنت مخلد الحربي".

وقد تناولت هذه الأطروحة دراسة تاريخ المنطقة وإعادة تنظيم إدارة السلطنة، بالإضافة إلى دراسة نظام الاستشارة ومدى تطبيقه أثناء مرحلة اتحاد إمارات الجنوب العربي في الفترة الزمنية من ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، إلى عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م. وكان من ضمن المصادر التي اعتمدت عليها الباحثة في جمع المعلومات هي الرواية الشفوية المحلية، وكانت الشخصيات التي تم إجراء الحوار معها هم من صناع الأحداث في سلطنة لحج في تلك الفترة خاصة ممن شاركوا وأثروا على مسار العلاقات اللحجية البريطانية.

" نص " رقم (١)

" وتزوجت الجوهرة للمرة الثانية. وكان زوجها هو سعود بن جلوي بن تركي (ت ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م)، وتفيد رواية شفوية بأنها طلبت منه الطلاق عندما تزوج بأخرى ".

رواية شفوية أجرتها الباحثة مع السيدة: وضحى بنت فهد بن عبدالله بن جمعة، وكانت من الملازمات للأميرة الجوهرة بنت فيصل بن تركي آل سعود في يوم الأربعاء ٢٧ ذي القعدة ١٤١٨هـ/٢٤ مارس ١٩٩٨م. الرياض.

المرجع:

دلال بنت مخلد الحربي: "نساء شهيرات من نجد"، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض: ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٢٤ .

" نص " رقم (٢)

" ووالد الجوهرة هو مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله. كان إضافة إلى أنه من أبناء عمومة الملك عبد العزيز ابن خالته؛ لأن والدته هي نورة بنت أحمد بن محمد السديري أخت سارة والدة الملك عبد العزيز ".

أما والدتها فهي حصة بنت عبد الله بن تركي بن عبد الله، فهي إذًا سليلة البيت السعودي من الأبوين.

رواية شفوية أجرتها الباحثة مع سمو الأميرة: موضي بنت خالد بن عبدالعزيز آل سعود في يوم الأحد ١٥ ذي الحجة ١٤١٨هـ/ ١٢ أبريل ١٩٩٨م. الرياض. وكذلك مع السيدة: وضحى بنت فهد بن عبد الله بن جمعة في يوم الأربعاء ٢٧ ذي القعدة ١٤١٨هـ/٢٥ مارس ١٩٩٨م. الرياض. المرجع السابق، ص٣٠ .

" نص " رقم (٣)

" وعند احتلال الدولة العثمانية لمنطقة عسير ازدادت الحروب والفتن الداخلية التي كان يشعل فتيلها أبناء المنطقة ضد الحكومة المتصرفية العثمانية، وذلك بسبب رفضهم لهذه السلطة المتواجدة على أرضهم، ومن بين مختلف الأساليب التي كان يعبر بها سكان إقليم عسير عن كرههم ورفضهم للحكومة العثمانية استخدامهم بعض أنواع الشعر التي كانت تردد على شكل موال أو طابع حماسي. ومن أمثلة ذلك القصيدة المشهورة التي ما زالت محفورة في أذهان أبناء المنطقة حتى يومنا هذا، وقيلت في المتصرف العثماني " سليمان شفيق باشا " الذي كان يعرف بأنه من أفضل الولاة الذين حكموا متصرفية عسير، ومطلعها يقول:

يا سليمان أرضنا ما عاد تحلها   لو جلسنا نحربك العامين كلها

ومفهوم القصيدة يعني التحدي للسلطة المتمثلة في شخصية المتصرف "سليمان باشا" ورفضه لوجودهم على أرض عسير الذي سيواجه بالمقاومة والتصدي من أبناء البلاد.

رواية شفوية أجرتها الباحثة مع الشيخ: هاشم بن سعيد بن علي النعمي أحد قضاة منطقة عسير ومؤرخيها، وإمام مسجد الملك فيصل بأبها وخطيبه، بتاريخ ٢٧-٨-١٤١٥هـ/ ٢٨-١-١٩٩٥م.

بصيرة بنت إبراهيم الداود: "الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير" ١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م"، ص ١٩٥ .

" نص " رقم (٤)

ضم بلاد الصبيحة إلى سلطنة لحج، وطلب السلطان فضل لمعاهدة الاستنارة.

في عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م طلبت حكومة عدن من السلطان عبدالكريم فضل ضم بلاد الصبيحة إلى سلطنة لحج، فأبدى السلطان موافقته مشترطًا بأن يكتب إليه جميع مشايخ الصبيحة طلبًا بذلك، وعندما تحقق له مطلبه أرسل ابنه عليًا إلى طور الباحة؛ إذ رفع العلم اللحجي على محكمة طور الباحة، وأنزل العلم البريطاني، غير أن الإجراءات الرسمية لعملية الضم توقفت بسبب مرض السلطان عبد الكريم ثم وفاته، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه منذ هذا العام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م أصبحت سلطنة لحج تعرف رسميًا بهذا الاسم بعد أن أصبحت التعاملات وختم السلطنة تحمل اسم سلطنة لحج لا السلطنة العبدلية أو العبدلي أو العبادل كما كانت تعرف به سابقًا.

رواية شفوية أجرتها الباحثة مع سلطان لحج سابقًا السيد: علي بن عبدالكريم العبدلي في يوم الخميس ٢٨ ربيع الآخر ١٤١٤هـ/ ١٤ أكتوبر ١٩٩٣م.

المرجع:

دلال بنت مخلد الحربي: علاقة سلطنة لحج ببريطانيا " ١٣٣٧-١٣٧٨هـ/١٩١٨-١٩٥٩م "، رسالة دكتوراه الفلسفة، منشورة، قدمت إلى قسم التاريخ والحضارة بكلية التربية للبنات بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، مكتبة العبيكان، الرياض، ص ٢٦٣.